

خصومه ويردون على شعرائهم. وقد تحوّل الشعر بفعل هذه الأحداث والصراعات من جديد إلى أداة للتكسّب وخاصة على أيدي الخلفاء الأمويين الذين شجعوا هذا الاتجاه في الشعر وأغدقوا بسخاء على شعراء المديح الذين توافدوا إلى الشام من كلّ الأقطار المجاورة. فجمعوا حولهم أقطاب الشعر يبذلون لهم المال للدفاع عن سياستهم وإظهار حقهم الإلهي في الخلافة إثر موقعة صفين. فكان الشاعر بمثابة الصحيفة الناطقة باسم هذا الحزب أو ذاك. فتهافت الشعراء على الخلفاء طامعين بلقب شاعر الخليفة حتى إذا لم يبلغوا هذا المقام الرفيع قنعوا بما دونه منصرفين إلى الولاة والحكام والقواد أو إلى من هم دونهم مرتبة، يبتغون الثروة ويتوسلون الشفاعة لديهم للوصول إلى باب الخليفة. فهذا هو الأخطل يتوّج شاعر البلاط الأموي حين يقول:

ويومٌ صفينَ والأبصارُ خاشعةٌ أمدهم - إذ دعوا من ربهم - مددٌ
وها هو جرير يمدح الحجاج أولاً توسلاً لبلوغ الخلفاء عبد الملك وسليمان
ويزيد وهشام... لكنّه يقصّر عن مزاحمة الأخطل في احتلال المركز الأوّل في
بلاط عبد الملك.

وكلّ هذه الظواهر أدت إلى نتائج سيئة في حياة الأدب العربي، فجعلت الشعر أسير المال مقيداً بقيود المادة لم يستطع أن يتخلّص من هذا الارتهان طوال أزمنة طويلة. ونشأ من ذلك أن الشعراء راحوا يتزاحمون في التسكّع على أبواب أولياء الأمر، يردّدون المعاني المكررة في المديح فيقعون في الكذب والمبالغة، كلّ ذلك على حساب الذوق الأدبي وعزّة وكرامة الشاعر والمستمع على السواء. ولم نجد في عهد بني أمية شاعراً لم يلتحق بهذا الركب سوى شعراء الغزل أمثال عمر بن أبي ربيعة أو جميل بن معمر وغيرهم.

٤ - قّي العهد العبّاسيّ:

مع بداية العصر العبّاسي كان شعر المديح قد تبوّأ المكان الأرحب في الشعر